الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية " أمريكانلي " لصنع الله إبراهيم أنموذجا

Civilizational conflict between East and West in the novel "Americanly" Sanallah Ibrahim as a model

محمد بوزياني

Mohamed.bouziani@univ-alger2.dz

جامعة الجزائر 2 – الجزائر – مخبر الترجمة والمصطلح

تاريخ الإرسال:2021/11/08	تاريخ القبول:2022/02/15	تاريخ النشر: 2021/03/30

الملخص:

جسدت لنا الرواية العربية في منجزها الحديث والمعاصر اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب فمثلت تجليا لثنائية الأنا و الآخر وما تلاها من صور متباينة ومتناقضة من الآخر انطلاقا من الوعي الذاتي أو الجمعي، ويمكن القول بأن هذا اللقاء تلخص في سمتين بارزتين هما: الصدام والحوار، ذلك أن الآخر ليس مرفوضا دائما كما أنه لا يلاقي القبول في كل الأحوال، انطلاقا من الاختلافات الواضحة في الفكر والعقيدة والدين والثقافة "وتتضح إشكالية الأنا العربية الإسلامية و الآخر الغربي بسبب سوء التفاهم و المواجهة السياسية و العسكرية، أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية و الاقتصادية و التقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

الكلمات المفتاح: صراع حضاري – شرق – غرب – صورائية – أمريكا

Abstract : In its modern and contemporary achievement, the Arab novel embodied for us the civilized encounter between East and West. It represented a manifestation of the duality of the ego and the other and the subsequent contrasting and contradictory images of the other based on self-awareness or collective awareness. The other is not always rejected, nor does it meet acceptance in all cases, based on clear differences in thought, belief, religion and culture. Technology seemed to be an indispensable necessity

Keywords: Civilization conflict - East - West - Imaginary – America

1.مقدمة:

جسدت لنا رواية "أمريكانلي" "لصنع الله إبراهيم" المواجهة الحضارية بين الشرق والغرب المتمثل في أمريكا وما نتج عنها من صراع في ظل التفاعلات السلبية والإيجابية التي يمكن تبصرها من خلال الصورة الذهنية المكونة عن الآخر، والتي تشكلت في إطار العلاقات التكاملية بين الشرق والغرب هذا من جانب والمتضادة والمتباينة من جانب آخر، ومهما يكن الأمر فإن التفاعل قائم معه، والتعايش والتضايف القائم على التفاهم أم مبنية على العدوان والتنافر والصراع الأبدي والصدام الحضاري.

نحاول مع بعض تتبع خيوط نسيج رواية "أمريكانلي" في إطار العلاقات بين الأنا والآخر ومشاكلها من ثنائيات: الشرق/الغرب، التخلف/التقدم، الريادة/التبعية، الاكتمال/النقص، التقارب/النفور، التقبل/الرفض، المواجهة/عدم المواجهة (المقاومة المجابهة)، وغيرها من الثنائيات التي تبرز في أي حديث عن العلاقة بين الأنا والآخر من أجل استجلاء مواطن التلاقي والاختلاف بين الثقافات المتعددة والأجناس المتباينة ونقدها، وأول باب ندخل منه: هو المواجهة الحضارية القائمة بين الرجل العربي المتمثل في بطل الرواية الأستاذ "شكري" و المرأة الأمريكية المبنية على ثقافة الاختلاف، من منظور حاولت فيه المرأة الغربية مد جسور العلاقة بين الشرق و الغرب، فهل نجحت الأنثى الأمريكية في مد جسر التواصل مع الشرق؟ وهل استطاعت أن تعبر أنوثتها عن علاقتها الحضارية مع النموذج الذكوري الشرقي؟

2. صورة الحضارة الأمريكية المتأرجحة:

يظهر عبر نصوص "صنع الله إبراهيم" أنها عصية على فهم دلالتها لأول وهلة فنص "صنع الله" يبطن أكثر مما يعلن، وهو ما أطلق عليه "صنع الله "نفسه الطريقة الحديثة في الكتابة"[1] أي إعطاء القارئ المعلومات على مراحل للوصول إلى عمق ظواهر الحياة" عبر الأمم و الحضارات انطلاقا من السرد، فقد قدم الكاتب تمثلات هذه القضايا من خلال التعالق الوظيفي للشخصيات، ولكن على نحو تبدو فيه هذه الشخصيات مصنفة حسب بنيتها الاجتماعية و النفسية و الحضارية إلى شخصيات مريضة، تأسست هذه الرؤية على مرجعية يتماثل فيها مرض الشخصيات الأنثوية ومرض الحضارة الغربية وذلك وفقا لما تقدمه النصوص الروائية من معطيات يمكن الوقوف عندها بالقراءة و التحليل تبدأ قصة مرض الشخصيات مع شارلي في رواية " أمريكانلي" وهي طالبة أمريكية اكتسبت من خلال موقعها في السرد عدة وظائف، منها ما يتعلق بالمواقف الخاصة ورؤيتها التاريخية و الحضارية التي تضمها تدخلها بين الحين و الآخر، ومنها ما يتعلق ببنائها النفسي و الاجتماعي فهي عبارة عن نموذج ثقافي وحضاري أساس في البنية السوسيوثقافية الغربية، ولذلك احتلت موقعا هاما في اللعبة الحضارية و أسهمت في منح

النص بعدا تأويليا يتناسق دلاليا مع ما قدمته، انطلاقا من ربط مرضها بوصفه مفهوما فيزيولوجيا متعلقا بمرض الحضارة التي تنتمي إليها بوصفه مرضا شموليا كونيا، وذلك بما يكشفه عنه حوارها مع :"شكري " ضحكت و قالت: "لأني أنا أيضا آخذ "بروزاك" السنة الماضية وجدت نفسي أتصرف تصرفات غريبة أتاجر مع أهلي و أبكي، و أتأرجح بين أقصى حالات الفرح و اليأس، أخذتني أمي إلى طبيبة نفسية ترددت عليها أربع مرات ولم تكن تتحدث كثيرا فقط جملة أو اثنتين، وجهت إلي أسئلة شاملة عن حياتي الجنسية وقالت لي إني معقدة بسبب صورتي عن نفسي، ألفيتني أقول أشياء وأرى أمورا لم تكن تخطر ببالي، وكنت أعود من اللقاء مدمرة وفي النهاية أعطتني بروزاك"[2]

يحيلنا هذا المقطع إلي جملة من المعطيات النصية المتداخلة فيما بينها و التي تكشف لنا بوجه جلي الحضارة المتآكلة و المتأزمة التي تعاني الأمرين و تجمع فيهما جميع التناقضات من انحلال وتمزق و آفات أدت إلى خلخلة البنية الاجتماعية لأمريكا الحضارة القائمة على الجانب المادي الرأسمالي الدراغماتي المتوحش وهذا ما ذهب إليه "فرانتز فانونfrantz fanon " في كتابه " معذبو الأرض" the wertched of the earth الذي صدر في عام ، 1961 إذ يناقش فيه الوسائل الأساسية للاستعمار، ويتساءل عما إذا كان العنف هو أحد الوسائل التي يجب استخدامها لمواجهة الاستعمار والحد من سيطرته حيث " كان فانون وعدد كبير من المثقفين الذين خضعت أوطانهم للاستعمار الفرنسي يؤمنون بأن الوسيلة الوحيدة لمحاربة الاستعمار الشرس و الوقوف ضد الاضطهاد الاستعماري و الإذلال الثقافي في المفروض على العالم الثالث هي العنف و الثورة المسلحة "[3] ، وهذا ما أدى به إلى التضامن مع الجزائريين و الانضمام إلى حركة التحرير الجزائرية، هذا جانب من جوانب الحضارة الغربية المبنية على التناقض و المحكومة بالعلل و الاضطراب و العنصرية التي مارسها الإنسان الأبيض على نظرائه من باقي الأجناس وصنف نفسه –بالمتحضر _هذا الأخير قاسم مشترك بين جميع البشر وليس فيه عنصرية أو تمييز، حيث يقول محمد أركون: " هل هناك عقل خاص بالغرب وعقل خاص بالعرب و المسلمين؟، نحن بشر وجميع مسائل المعرفة متعلقة بالإدراك، وعلى هذا الأساس النفساني الجذري ينبغي علينا أن ننتقد المعرفة، أن ننتقد جميع ما ينتجه العقل البشري أنى كان في جميع الثقافات وجميع التجارب بغض النظر عن كونه يابانيا أو أفريقيا أو غربيا أو مسلما" [4] وهذا ما يتوافق مع رؤية "فانون" أيضا حول العقل و الذكاء.

3. الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية " أمريكانلي " لصنع الله إبراهيم أنموذجا:

تتواصل وتيرة السرد عند "صنع الله" إذ تتراوح من البسيط إلى العميق وتتخذ في ذلك أشكالا متعددة لإيصال المعنى في سياقاته المختلفة مما يجعل المتلقي يحمل تصورا دلاليا على الفضاء الزمكاني الذي تجري فيه الأحداث وبطريقة حوارية...."

ضحك: وإيه يعني السنة الماضية اكتشفوا مني "هارفارد" حلقة دعارة من الطالبات تأخذ الواحدة في اللقاء الواحد 300 دولار"[5]

وهذا الخطاب الحواري يحيل إلى نمط سوسيوثقافي معيش في المجتمع الأمريكي يحمل قيمة أخلاقية وصلت إليها الحضارة الأمريكية فالسارد يقوم بأدوار مختلفة مرتبطة بطريقة تيماتيكية حيث أن كل شخصية تؤدي الدور منوط بها إذ نجد شخصية "ماهر" تتغنى بالعبقرية الأمريكية في مجال الأدب والسينما إذ رافع لها فيما يلي: "فتح ماهر جبهة جديدة: يكفي أنك تستطيع هنا أن تكتب ما تشاء وتبيعه للناشر الذي يعجبك وتبيع أيضا حق نشره مسلسلا لإحدى المجلات ثم تتولى شركة توزيع عرضه في المكتبات، وخلال ذلك يشتريه ستوديو سينمائي ويحوله إلى فيلم ويبيع الحقوق للتلفزيون كل هذا دون اعتراض من الدولة أو غيرها"[6] هذا المستوى من السرد الحواري يحيلنا إلى البحث في البنى العميقة لأوجه الحضارة الأمريكية ويختلف هذا من متلق لآخر.

كذلك الأمر بالنسبة لزوجة "مروان" التي كانت تشاهد الأخبار عبر التلفاز، حيث سمعت نبأ وفاة عشرين مكسيكيا مهاجرا مختنقا داخل شاحنة في أمريكا، والتعليق الذي أدلى به المواطن الأمريك....

قاطعها زوجها: من قال أنهم مواطنون غير شرعيين؟ أوراق الجنسية والبطاقة الخضراء تباع علينا في شوارع "لوس أنجلس" أسفل لافتات تعلن عنها إنا تجارة ضخمة"[7]

هذه المقتطفات من الرواية تساعد على ترسيخ النص الروائي في ذهنية المتلقي مما يؤدي إلى تشكل صورة لديه عن الحضارة الأمريكية مختلف تناقضاتها سواء أكانت إيجابية أو سلبية وتتعدد الصور بتعدد القراءات.

ومهما يكن الأمر فإن الحضارة الغربية مليئة بالتناقضات، رغم التطور الذي وصلت إليه إلا أنها لازالت تعاني من الاضطراب وعدم الاستقرار وإذ لم ينف "سلامة موسى" –على الرغم من انبهاره وميله للحضارة الغربية– بعد هذه الأخيرة عن المرض الذي يؤدي إلى جنون وانتحار الكثير من الناس فيها نتيجة الضغوطات التي تفرضها الحياة في المدينة والأواسط الصناعية عكس الوسط الزراعي الذي يبعث على القناعة والطمأنينة من جانب والذهول والركود من جانب لآخر.

ف "حضارة أوروبا هي حضارة القلق والتوتر وأمراض النفس التي لا تحصى، ولكنها أيضا حضارة الاستطلاع والاستقلال بل ربما العبقرية والاختراع"[8] لذلك فالحضارة يجب أن تعنى بالجانب الروحي إضافة إلى كل ما هو مادي لكي تتخلص من العلل والشوائب والأمراض يجب أن تتسلح بالدين و الثقافة في تكوينها، إذ يرى "روجيه غارودي" في بداية كتابه "الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط" أن الحضارة في خطر لجهلها لماهية الوجود و استشهد بمقولة: "سيمون وايل" التي يقول فيها: "نعرف جيدا أن أمركة أوروبا بعد الحرب، تشكل خطرا بالغا، ونعرف جيدا، ما سنفقده لو تحققت هذه الأمركة، فأمركة أوروبا ستقود بلا شك إلى أمركة الكرة الأرضية كلها... وستفقد الإنسانية ماضيها"[9] ولكم الحكم في النزاعات الحاصلة و الأزمات المفتعلة في مختلف بلدان العالم خاصة دول الشرق الأوسط و إفريقيا.

يمثل اللقاء بين "شكري" و "شرلي" وكذا بين "شكري و أصدقائه تلك المرأة المومس رمزا للقاء الحضاري بين الشرق و الغرب في قصة جديدة يسردها الكاتب انطلاقا من بناء التجربة الأنثوية بين الرجل و المرأة و الصراع الأزلي بينهما، فالعلاقة بين الشرق و الغرب لدى "صنع الله إبراهيم" هي علاقة متأرجحة لأنها محكومة بالتباين الثقافي بين العالمي والصراع في العالم الجديد حسب –هنتنجتون– لن يكون مبنيا على الإيديولوجيا أو الاقتصاد و إنما تحركه التمايزات الثقافية المختلفة داخل الحضارات إذ يقول: "في هذا العالم الجديد لن تكون الصراعات المهمة و الملحة و الخطيرة بين الطبقات الاجتماعية أو بين الغنى و الفقير أو بين أي جماعات أخرى محددة اقتصاديا، الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة"[10] ، إذن الصراع الثقافي بين الحضارات هي محل المنافسة بين القوى الكبرى، وعندها حتما سيحل صدام الحضارات، بل حتى داخل الحضارة الواحدة إذ كان هنالك صراع هوياتي بالتمزق الحضارة وتتآكل داخليا وسيكون مآلها الزوال.

حاول "صنع الله" أن يمنح المرأة نسقا ثقافيا، من حيث كونها همزة وصل بين ثقافتين متمايزتين، إذ جسدت حضورها على مسرح الأحداث بشكل تيماتيكي مرتبط بموضوع المرض، هذا الأخير يحمل دلالة رمزية للوجه الحقيقي للحضارة الأمريكية، وتبلور ذلك من خلال شخصية سيلين "التي خضعت للعلاج النفسي "...قالت إنها خضعت للعلاج النفسي طوال ثلاث سنوات لكنها استفادت من التجربة رغم ما تمثله من ضربة سيكولوجية للمرأة"[11] وهي محاولة منح المرأة الغربية بعدا حضاريا من خلال النظرة الدونية التي يمارسها الرجل المشرقي في تعامله معها إذ يصورها بأنها ناقصة و مريضة و على أساس هذه الصورة النمطية أراد إجراء مقارنة بين الحضارات لمعرفة مدى تفاعلها مع الحضارات الأخرى، وإذا كانت رواية "صنع الله" قد تغلغلت داخل المجتمع الأمريكي و أبرزت عيوبه و تناقضاته بشكل بارز حيث عرت نتائج العولمة المقيتة على أرض الواقع و حقيقة البطش السلطوي المتستر باسم الديمقراطية المدعومة من الأمريكان، فإنها كشفت لنا عن تأثر الحضارة الشرقية بذلك إذ أنها لم تسلم

من الوباء والمرض و ربط: ذلك بالرجل الشرقي المتمثل في شخص "شكري" ومعاناته من أمراض عدة تمثلت في اضطراب الجهاز الهضمي و هبوط الدورة الدموية و ارتفاع الضغط يقول في ذلك: "..ظهر أستاذ الفيزياء بعد أسبوع وأصر أن يصحبني إلى طبيب نفسي"[12]

بناء على ذلك فقد صور لنا الكاتب الحضارة المرضية وفق ثنائيات الرجل الشرقي الذي يرفض العلاج والتعافي من المرض الذي ينخر جسده منتظرا مصيره بثبات: هذه المفارقة نجدها اليوم من خلال ترقب صنع اللقاح المضاد لفيروس covid19 " في مخابر الغرب مما يعكس التخلف والتبعية لحضارة الغرب أو أمريكا الممثلة في المرأة المجسدة في شخصيتي "شرلي وسيلين" اللتان تسعيان لإيجاد الحلول للأمراض المحدقة بهما وهذا ما يدفع بالحضارة الغربية إلى الابتكار وكبح الانهزامية الملتصقة بنا نحن العرب.

لم تنف الإشارات المتكررة إلى الصورة السلبية للحضارة الشرقية وجود إمكانية إعادة بناء الأنا وفق أسس حضارية جديدة، ووجود بريق أمل لكسر القيود ومحاولة بعث نفس جديد لمواكبة الحداثة في أرقى تجلياتها

فقد عبر الراوي "شكري" عن مرحلة جديدة من الحياة من خلال الحلول التي قدمها الطبيب المعالج الذي يحيل في أكثر تجلياته إلى المفكر أو المثقف أو صانع الحضارة.

""سألتني ""فادية"" في شيء من التحدي: لكنك لم تقل لنا كيف يمكن للمصرين أن يتخلصوا من هذا الاكتئاب الجمعي أم هو قدر لا فكاك منه؟

-أعتقد أنه يمكن التخلص منه كما فعلت أنا أو كما أحاول أن أفعل، فلا أزعم أني قد شفيت تماما، الأمر يحتاج إلى بعض الوقت.

" -قلت: ليس بالضرورة، الفكرة هي تنشيط الدورة الدموية"[13]

يشخص لنا الكاتب ""صنع الله"" في هذا الإطار المرض الذي حل بالحضارة العربية وجعلها تتقهقر وتعاني التخلف من أجل إيجاد الدواء، فهو يحلل الوضع انطلاقا من معطيات واضحة وينقد ويفسر ويقارن، حيث نلمس حضور الأنا العربية من خلال موقعه السرد بوصفها أنموذجا حضاريا قابل للعلاج والتعافي لتبقى العلاقة بين الشرق والغرب علاقة صراع أبدي يمليه الإطار التفاعلي بين الرجل والمرأة.

4. صورة الرجل والمرأة بين الشرق والغرب:

صنع ""صنع الله إبراهيم"" لنفسه عالما روائيا حضاريا واستلهم من تاريخ العلاقات التفاعلية صورا جديدة لفعل الحياة، فعالم الكاتب عالم تزاوجت فيه الثقافات وتجاورت وفقه الأجناس المختلفة رغم اختلافها، فقد كان

"شكري" أستاذا زائرا في "أمريكانلي" جمعته بالمرأة الغربية علاقات عابرة، وعليه كان الاتصال مؤقتا يحكمه الزمن، وإن اتخذ بعدا مستمرا تاريخيا.

لعبت الشخصيات الأنثوية دورا مهما في التعبير عن خصوصيتها من حيث كونها معادلا موضوعيا لمفهوم الحضارة، من خلال تقديم الروايات لعلاقات عاطفية أو جنسية مابين أبطال رجال عرب و بطلات نساء غربيات لتمثيل العلاقة بين الشرق و الغرب (أمريكا) من بين الكتاب الذين اهتموا بعلاقة الشرق و الغرب و تمثلوها جنسيا: "يوسف إدريس" في عمله ""نيويورك 80""، تحكي القصة لقاء كاتب من مصر مع سيدة أمريكية في أحد الأماكن العامة بمدينة نيويورك، هذه المرأة عبارة عن مومس ""تعرض عليه نفسها مقابل المال، لكنه يرفض امتهان الجسد و يعترض: قائلا لها : "إني مشمئز من حضارة تصعد بسمو علمها إلى القمر، ولازالت تنحط بجسدها إلى مدارك الرقيق الأبيض و الأسود)""، تعرض عليه أن تقضي الليلة معه فيرفض:

(أنت قطعة متخلفة عقليا، ألم تفهمي بعد أن المسألة الجسدية المحضة لا تعني أية متعة بالنسبة لإنسان مثلي؟) يغادر المكان عائدا إلى الفندق، لكنها تتعقبه إلى غرفته، وتعاود عرضها حتى لو دفعت له هي، ويبقى هو مصمما على الرفض مهما كلفه الأمر، فيكون حكمها عليه (وعلى الحضارة التي يمثلها استتباعا) ليس بأهون من حكمه عليها، إذ تتهمه بأنه مازال طفلا عاطفيا ونفسيا"[14].

من خلال هذا الموقف يتجلى لنا عدم انخراط بعض الكتاب العرب في تيار ثقافة الجنس الغربي الأمريكي ورفض التبعية للمرأة الغربية رغم كل الإغراءات انطلاقا من موقف مبني على قيم الرجل الشرقي في المجتمع المحافظ والرافض للانحلال وتردي القيم انطلاقا من الصورة القبلية الراسخة في ذهن الشرقي، ولم يترك الكاتب الفرصة لاكتشاف هذا المجتمع الغربي من حيث هو غربي بل أسقط عليه قيم الشرق، ولعب دوره كذكر في مجتمع شرقي يعلي من قيمة الرجل على حساب انحطاط المرأة.

من جانب اعتبر بعض الكتاب أن العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة مساواة وتماهي وتكامل دون أي اعتبارات للخلفيات المحكومة بالصراع التاريخي أو الديني أو العرقي ممثلة في قبول الآخر رغم الفوارق الموجودة، وهذا ما ذهب إليه ""جورج طرابيشي"" في نقده لرواية عبد الرحمن منيف "الأشجار واغتيال مرزوق" وذلك من خلال تصويره ل"علاقة الحب التي تربط "منصور عبد السلام" "وكاترين" طالبي العلم في باريس، على امتداد أربع سنوات كاملة، هي أول علاقة حب بين شرقي و غربية غير محكومة لا بعداء تاريخي، ولا بمشروع انتقام سري أو سافر،.. ولا بعقدة النقص والدونية، ولا بصراع مزعوم بين الروح والمادة، ولا بحرب الجنسين الأزلية، ولا حتى بالشهوة الغرائبية، وهي بهذا المنظور أول علاقة حب إيجابية بين (ابن بلد) وأجنبية"[15].

يتماهى الكاتب في إعطاء تفاصيل الصورة التفاعلية بعدا تواصليا يبدأ من توافق البطل والأنثى الغربية، فإلى أي مدى يمكن استيعاب حدود العلاقة بينهما؟

لم يكن الغرب هاجس الراوي، و إنما فضح الواقع المنبطح لأنظمة الحكم العربية التي سلمت أمرها إلى الغرب و جعلته يعبث بمصيرها من خلال العلاقة السافرة بين سلطة المال و سلطة الحكم الأمريكي، حيث صور لنا صنع الله إبراهيم في روايته "أمريكانلي" وغيرها "رؤيته الإبداعية عن سلطة أمريكا التي تحدث عنها أيضا قائلا ""أمريكا تدعم القمع و تحارب الديمقراطية حتى تضمن استقرار الأوضاع وبقائها على ماهي عليه في العالم الثالث، وهم في الوقت نفسه يقدمون صورا جميلة لحياة الناس في الولايات المتحدة، يطهرونهم كأنهم يعيشون في فيلات وحدائق و الموضوع غير هذا و الحقيقة أن لوس أنجلس مثلا وهي من أغنى المدن الأمريكية بها الكثير من الفقر، وهناك أسر تعيش فيها تحت حد الكفاف"[16] ، ولأن صنع الله كان دائم الترحال فقد ذلك في ازدياد خبرته وتنوع مادته الروائية التي لم ينضب معينها حتى الآن، وهذا ما جعله يمتلك مشروعا روائيا نقديا خاصا به انطلاقا من ""مقولات أساسية تحتضن، متاهة الحياة اليومية الإنسان –القناع اليومي– التاريخي– السخرية السوداء... باجتهاد لا ينقصه الابتكار اللامع في معظم الأحيان"[17] هذه التجربة أظهرتها التجربة الذاتية وروح العصر الذي عاش فيه بمختلف تناقضاته مرورا بالحكام الذين هرولوا للتطبيع مع الكيان الصهيوني و أمريكا في مرحلة حكم السادات ومبارك وغيرهم... إلخ، وشق طريقه في عوالم الإبداع والتخييل الممكنة.

هذه الأنظمة العملية قمعت حرية الفرد ورمت به في أحضان الآخر، فغدا الغرب "الولايات المتحدة الأمريكية " كما دعاه" جون ستاينبك ""الوحش المفزع لأنه كبير جدا بحيث يتعذر عليه فهمه"[18]، حيث نجد في الرواية مقتطفات تسعى لترسيخ أفكار و معتقدات عن أمريكا هذا المارد تحمل طابع السخرية و التهكم إذ يقول الراوي: " اقتربت مني ""دوريس"" وهي تحمل في يديها مجلة مصورة...ناولتني عددا من مجلة "تايم" الأسبوعية الشهيرة، كان الغلاف التقليدي المعروف للمجلة المحاط بإطار أحمر عريض يتألف من صورة فوتوغرافية كبيرة لساقي رجل ضخم غطاهما العلم الأمريكي، وبجوارها عنوان الموضوع الرئيسي للعدد هل الله أمريكي؟"[19] حيث يبين لنا الراوي أنها مجلة محرفة موجهة للطلاب.

"وما يثير الانتباه هنا ذلك التماثل الدلالي بين وصف "شرلي" من قبل "ماهر" الراوي بأنها وحش يأكل الرجال أكلا... ماهي أخبار شرلي؟

قلت مندهشا، ما لها؟"[20]

شبهت المرأة الأمريكية بالوحش الذي يرمز للحضارة الغربية المادية التي تستقطب الكفاءات الشرقية وتستنزف قدراتها حتى التلاشي والاضمحلال، فهي من جانب تفرغ البلدان العربية من العقول المفكرة التي تنهض بها وتبقيها

في حالة التبعية والتخلف، ومن جانب آخر تستغلها في أمريكا لحصد المنجزات توظيف التقنية المتطورة كسلاح مضاد للعرب وقد استشرف ذلك الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" في روايته: حكاية العربي الأخير(2084) من خلال توظيفه لبطل الرواية "آدم" "والذي يسافر إلى أمريكا من أجل إنجاز أبحاث حول القنبلة النووية" "البوكيت بومب" واستغلاله بأبشع الطرق واتهامه بالإرهاب.. إلخ"[21].

وعليه تتراءى للقارئ إحداثيات الدلالة التي تقوم على أساس التناقض الحضاري بين (الشرق/الغرب)، وعلى أساس التماثل الوظيفي للصورة بين الرجولة والأنوثة، ثم القيم التي تعزى إلى الغرب/ الأنثى الطابع الغرائزي والمادي والفردي.

تمكن "صنع الله إبراهيم" أن يتمثل جانبا من طبيعة تلك العلاقة بين العالمين الشرقي والغربي القائمة على الأكذوبة التاريخية المتمثلة في موضوع الاستعمار بوصفه أساس التحول الحضاري والتاريخي، فقد تبني الاستعمار سياسة هدم الشعوب، والنهوض على جثتها، وامتصاص دمائها لسقي بذور الحضارة الغربية، وكانت الحضارة في نظر "شارلي" آلة تتحرك بدماء أمم وقبائل إنسانية: قالت "شارلي": "الأوروبيون جلبوا معهم أمراضا جديدة دون قصد، ما حدث للهنود الحمر يعد مأساة، لكن يجب اعتبارها من قبيل الأضرار الهامشية التي تواكب انتشار الحضارة"[22] فقد قضت الحضارة المادية على القيم الإنسانية.

يضيف "شكري" محاورته للحقيقة الواقعية متمثلا حيثياتها من خلال الأنثى الغربية ذاتها: ""ماذا نفعل؟ الدستور يحمي المواطن في حمل السلاح أي حقه في أن تقتله رصاصة، القتلة والقناصة"[23].

فالحضارة مرادفة للموت، وصار المفوضان التاليان" القتلة والقناصة" مصطلحات لا يستغني عنهما القاموس الأمريكي في كل مجالات الحياة يشهرها في وجه دول العالم الثلاث من أجل إحضارها، وهنا تنشأ الصورة السلبية اتجاه الآخر، وعلى هذا الأساس فالحضارة لا تقاس بمظهرها الخارجي، وإنما بتأثيراتها وبمدى استيعابها من قبل الآخر ارتبط تجلي الأنثى في رواية صنع الله في الكشف عن رؤيتها للعالم وموقفها من الآخر كما كان حضورها مؤسسا على أيديولوجيا الإختلاف التي هيمنت على نصوصه فالتفاعل بين الذكورة و الأنوثة في "أمريكانلي" "صنع الله" تفاعل بين أنموذج شرقي متخلف وحضارة غربية، و العلاقة بينهما علاقة انفصالية تجسدها صورة صراع البطل مع الأنثى.

5.العرب وأمريكا تواصل أم انقطاع؟

قامت "أمريكانلي" "صنع الله" على ما يقدمه الواقع من المفارقات القائمة بين الشرق والغرب وبين مبدأ "كيبلينغKipling" الذي يرى " أنهما عالمان متميزان لم و لن يلتقيا أبدا، انطلاقا من أن الشرق شرق و الغرب

غرب ولن يلتقيا أبدا"[24] وبهذا نكون إزاء رؤية مغايرة لنهاية الأحداث التي تبدأ بلقاء يفرضه السفرية العلمية في "أمريكانلي" فقد كان هذا اللقاء في الأول قائما على التحمس للعلاقة بالآخر، لكن الواقع أثبت أنه متوهم يفسره الانفصال الذي يلي كل لقاء، استطاع "صنع الله" أن يصور لنا سفريته إلى أمريكا وفق تحديات جوهرية تقدمها الشخصيات الأنثوية الغربية، فقد قاده تطلعه الدائم إلى المستقبل إلى لحظة انعتاق جسدتها شخصية البطل "شكري" الذي عرفت مسيرته الحضارية مع "شرلي" التناقض و القلق و الاضطراب الناجم عن الاختلاف، فقد نقل "شكري" مشهد خطواته الأخيرة إلى باب الجامعة بالتفصيل، واضعا القارئ أمام الانعتاق الكلي من جحيم السيطرة الغربية و تمركزه، متحررا من القيود التي وضعها الغرب باسم الحرية: ""مضيت في الطرقة المظلمة و أنا أتلفت خلفي، توقفت عند ركن البريد ووضعت المظروف الذي احتوى على كشف الدرجات في صندوق "شادويك" ثم اتجهت إلى الدرج، ألقيت نظرة أخيرة على الطرقة و خيل إلى أني لمحت شخصا في نهايتها، وتناهى إلى سمعي الأزير الذي سمعته من قبل أو خيل لي، لم أتلكأ وهبطت الدرج مسرعا، وكدت أتعثر و أنا أستخرج سلسلة المفاتيح من جيبي، بحثت عن مفتاح الباب الخارجي و أعدته في يدي، فلم أكن واثقا من أني سأجده مفتوحا كما تركته"[25]

أشار "شكري" إلى عودته إلى وطنه الأصلي وانفصاله بشكل نهائي عن الغرب بشكل تراتبي يبدأ من لقائه الوهمي مع "شرلي"، وينتهي بقرار وضع فاصلة بين العالمين والعودة إلى مصر.

انحصرت صورة أمريكا من منظور الأنثى في دائرة الوهم التي تخبطت في علاقة "شكري" مع "شرلي" فترة زمنية كانت كافية لتحديد مواقع كل من الأنا والآخر في سلسلة الحضارة بأن لا موقع " للأخر في خارطة التفكير الغربي، فغاية الكمال كما يرى هوسرل أن يكون الآخر غربيا، فحيث الغرب ثمة منطق يقود الحياة إلى مصير خالد، وبهذا تترتب شؤون الآخر بمنظور غربي، لا يريد أن يرى في موضوعه إلا ما يقصد أن يراه وفعلا، ويرغب فيه"[26]

أراد "صنع الله" أن يكشف عن مواضع الحقيقة التي تنبئ على الصراع، أو كما عبر عنه "هنتجتون" بالكره الذي يمثل ""كلية وجود الصراع، الكره شيء إنساني، ولتعريف النفس ودفعها يحتاج الناس إلى أعداء: منافسين في العمل، خصوصا في الإنجاز، وفي السياسة، ومن الطبيعي ألا يثق الناس في المختلفين عنهم ومن لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم، بل يرونهم خطرا عليهم، حل صراع ما أو اختفاء عدو ما، يولد قوى شخصية واجتماعية وسياسية تؤدي إلى نشوء صراعات جديدة"، أو أعداء جدد، نزعة ال "نحن" وال "هم"[27].

يمثل الكره معادلا موضوعيا لنظرية الرفض التي التزم بها الغرب، وفي ذلك إقرار ببنية الاختلاف التي يروجها للتفريق بين الشعوب والأمم، وتحقيق الهيمنة والانفراد بالتمركز حول ذاته، وفي هذا تأكيد على مقولة "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبدا.

6.الخاتمة والنتائج: احتكمت العلاقة بين الشرق والغرب إلى ما قدمته العلاقة بين الرجولة والأنوثة، فقد كانت صورة المرأة الغربية معادلا موضوعيا للحضارة باعتبار ما تحمل من دلالات تاريخية وثقافية أسهمت في وضع إحداثيات المواجهة الحضارية، جرى فيها وسم الحضارة الغربية بأنها مفهوم مرادف للموت طبقا لما قدمته النصوص من تمثلات أيديولوجية لمرض الشخصيات الغربية الأنثوية روحيا وماديا، اكتسبت الحضارة الغربية من هذا المنطق طابعا ماديا تم بموجبه القضاء على فعالية القيم الإنسانية، فصار الإنسان سلعة تستهلك في سوق الرأسمالية، وذلك مقابل الحضارة الشرقية (أو الذكورة) التي جرى وصفها بأنها حضارة متخلفة، ولكن مرضها كان حافزا لإعادة النظر في ماهية الموجودات، حيث كانت محاولة انعتاق الراوي من علاقته بالأنثى انعتاقا من رغبة التمركز الغربي، وهذا ما أخذ بالراوي إلى الرجوع إلى موطنه الأصلي، كشفت شخصيات "صنع الله إبراهيم" عن قلق حضاري وتمزق ثقافي، وعن زيف التفاعلات بين الأنا و الآخر تأكيدا على بنية الاختلاف التي تفصل بين المثقف العربي و الشرقي و الثقافة الغربية، وهو بعد مشروط بالانفصال بين الشرق و الغرب ، لذا فضل "صنع الله" الأصل على الذوبان في ثقافة الآخر والانصهار فيها.

7.الهوامش:

[1]– صنع الله إبراهيم، أمريكانلي، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص439.

[2]– صنع الله إبراهيم، الرواية الحديثة لا تقول كل شيء دفعة واحدة –جريدة السياسية الكويتية –، السنة 36، العدد 12509، الأربعاء 17-09-2003.

[3]– أحمد أبو زيد (فانون، صراع ضد سرطان الاستعمار والجسد) ضمن كتاب (الطريق إلى المعرفة)، كتاب العربي، الكويت، العدد:15/46 أكتوبر 2001، ص 39 إلى 46.

[4]– أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط1، جانفي، 1999، ص65.

[5]– صنع الله إبراهيم، رواية أميركانلي، ص42.

[6]– المصدر نفسه، ص 63.

[7]– المصدر نفسه، ص 64.

[8]– سلامة موسى، ماهي النهضة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر د.ط 2012 ص82.

[9]- روجيه غارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، تر: مروان حمودي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ط1، 1998، ص (مقدمة الكتاب).

[10]- أنظر: صامويل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة، صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، سطور للتوزيع والنشر، جدة، السعودية، ط2، 1999، ص46.

[11]- صنع الله إبراهيم، القانون الفرنسي، دار المستقبل العربي، مصر، ط1، 2008 ص218.

[12]- صنع الله إبراهيم، رواية أمريكانلي، ص399.

[13]- المصدر نفسه، ص 409.

[14]- محمد حافظ دياب: يوسف إدريس وصورة الآخر، مجلة (نزوى)، سلطنة عمان، ع11، 2009.

[15]- جورج طرابيشي: شرق وغرب ذكورة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، 1979 ص187.

[16]- إبراهيم صنع الله "يحاولوا أن يشتروني فكنت أذكى منهم- مقال جريدة الشرق الأوسط -6-2003/11.

[17]- فيصل دراج-نظرية الرواية والرواية العربية-المركز الثقافي العربي-، بيروت ط1، 1999 ص 287.

[18]- نظر: جيكو موللر- فاهرنهولتر- الصراع على الله في أمريكا، مسيحي أوروبي يعاين الدين المدني، تر: معين الإمام، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص25.

[19]- إبراهيم صنع الله، رواية أمركانلي، ص133.

[20]- المصدر نفسه، ص 334.

[21]- واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، دار موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2015، ص07.

[22]- إبراهيم صنع الله، رواية أمريكانلي، ص260.

[23]- المصدر نفسه، ص 465.

[24] -Moustapha Safouan. Europe/ Moyen- Orient in Conflit ou Dialogue Des Civilistion. Une altenative mal posée ? Dialogue des deux rivesK Acte du collogue. Fondation du Roieabdul- AzizKGasablancaK 2009K Konrad Adenouer . p 77

[25]- إبراهيم صنع الله، رواية أمريكانلي، ص482-483.

[26]- عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة "الدار العربية للعلوم ناشرون: لبنان، ط1،2010، ص 183.

[27]- صامويل، هنتجتون، صدام الحضارات، ص211.

8. قائمة المراجع:

1-صنع الله إبراهيم، أمريكانلي، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.

2-صنع الله إبراهيم، الرواية الحديثة لا تقول كل شيء دفعة واحدة –جريدة السياسية الكويتية –، السنة 36، العدد 12509، الأربعاء 17-09-.2003

3-أحمد أبو زيد (فانون، صراع ضد سرطان الاستعمار والجسد) ضمن كتاب (الطريق إلى المعرفة)، كتاب العربي، الكويت، العدد:15/46 أكتوبر .2001

4-أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط1، جانفي، 1999.

5-سلامة موسى، ماهي النهضة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر د.ط 2012.

6-روجيه غارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، تر: مروان حمودي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ط1، 1998.

7-أنظر: صامويل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة، صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، سطور للتوزيع والنشر، جدة، السعودية، ط2، 1999.

8- صنع الله إبراهيم، القانون الفرنسي، دار المستقبل العربي، مصر، ط1، 2008 .

9-محمد حافظ دياب: يوسف إدريس وصورة الآخر، مجلة (نزوى)، سلطنة عمان، ع11، .2009

10-جورج طرابيشي: شرق وغرب ذكورة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، .1979

11-إبراهيم صنع الله "يحاولوا أن يشتروني فكنت أذكى منهم- مقال جريدة الشرق الأوسط -6-11/.2003

12-فيصل دراج-نظرية الرواية والرواية العربية-المركز الثقافي العربي-، بيروت ط1، 1999.

13-انظر: جيكو موللر- فاهرنهولتر- الصراع على الله في أمريكا، مسيحي أوروبي يعاين الدين المدني، تر: معين الإمام، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010.

14-واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، دار موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2015.

15-Moustapha Safouan. Europe/ Moyen- Orient in Conflit ou Dialogue Des Civilistion. Une altenative mal posée ? Dialogue des deux

rivesK Acte du collogue. Fondation du Roieabdul- AzizKGasablancaK 2009K Konrad Adenouer .

16-عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة "الدار العربية للعلوم ناشرون: لبنان،ط1، 2010.